

أحد المولود أعمى

الميتروبوليت أنتوني (بلوم) مطران سروج

عظة نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

باسم الآب والابن والروح القدس

في نهاية قراءة اليوم، نتوقف عند الكلمات التي مررنا بها. يقول الأعمى للمسيح: "ومن هو ابن الله؟" فيجيب المسيح: "قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ!"

بالنسبة لنا، الكلمات الأولى طبيعية جداً؛ عند وقوع حدث ما لأول مرة في حياتنا، كأول اجتماع لنا هو أننا نرى شخصاً. ولكن هذه هي المعجزة بالنسبة لهذا الرجل الذي لم يسبق له أن رأى شيئاً في العالم من قبل، وهو إذ لمست يد المسيح الواهبة الحياة، رأى فجأة! وأول من رآه كان ربّه وإلهه المسيح ابن الإنسان.

أتذكّر كاتباً رومانياً أخبرنا في سيرته الذاتية أن الانطباع الذي تركه وجه أول رجل رآه ويتذكره، كان انطباعاً حاسماً وعميقاً. يتذكّر نفسه كطفل، فيما كان وجه الرجل جميلاً فائق الوصف، الرجل كان والده الكاهن، وكان ينظر إليه بكل المحبة البشرية، بكل حنان، وبكل عمق النظرة الإنسانية. ويقول أن هذه كانت أول رؤية له في الأيقونة التي يمكن أن يكون عليها وجه الإنسان عندما يُضاء من الداخل بالمحبة والفهم والعمق والخلود، إنها معاينة لله. هنا رأى هذا الرجل الله في ملامح ذاك الذي كان الله وقد صار ابن الإنسان.

أود أن أجد انتباهكم أيضاً إلى شيء مختلف. في مناسبة أخرى، نقرأ قصة مخلّع شفاه المسيح. والكنيسة، إذ تتغنى بحمد الله في تلك المناسبة، "لما لم يجد هذا الرجل من يظهر له رحمته، فإن ابن مريم، الله نفسه، انحنى ولبى حاجته". فهذا الرجل لم يجد إنساناً آخرأ يرحم ويتأف ويهتم، لذا نزل الله إليه. نحن نعيش الآن في وقت آخر نعيش في الوقت الذي أصبح فيه الله حقاً إنساناً في وسطنا، وأكثر من هذا: لقد جعلنا أعضاء حية في جسده، حضوراً متجسداً ملموساً لتجسده، هياكل للروح، وأماكن للحضور الإلهي.

الآن، ينبغي أن نجد كل محتاج في كل واحد منا في نفس الوقت رجلاً مدفوعاً إلى الرحمة والتفهم من الله الذي صار إنساناً، وفي نفس الوقت، بلقائنا، يجب أن يتمكن هذا الإنسان من رؤية محبة الله في أعيننا وإدراك عمل المحبة الإلهية الفاعل الإبداعي والخالق في أقوالنا وأعمالنا.

منذ أن أتى المسيح إلى العالم صار زمن الإنسان. ولكن ليس الإنسان المبتور عن الله، المنفصل والمتغزب عنه، بل هو الزمن الرائع، إذ في الإنسان، في الذين اكتشفوا المسيح، والذين آمنوا به، والذين اتحدوا به، هؤلاء الرجال الذين إليهم قد أوكل الله رعاية عالمه، يمكن للناس أن ينالوا الرحمة الإلهية والبشرية وأن يروا التعاطف البشري، والمحبة البشرية، والفرح البشري.

أليست هذه دعوة عظيمة، أليست شيئاً ينبغي أن يجعلنا قادرين على أمور عظيمة؟ إن زمن الله وزمن الإنسان واحد، ليس فقط في ابن الله المتجسد، ولكن في هذا الحضور المتجسد السري الذي يمثله كل واحد منا، حضور الله في الجسد، في الرأفة البشرية، في المحبة البشرية، وهذا استحقاق خطير وتحدي يطرحه علينا

الإنجيل. هل نحن لبعضنا البعض ولأولئك البعيدين عن هذا النوع من الإنسانية؟ بشرية جديدة، مخلوقات جديدة، بشر جدد بحياة متجددة، حياة الله. هذا ما دُعينا لتكون عليه.

لنتأمل في ذلك ونتخذ قراراً، ونتحرك ونصبح أيقونة، ومعاينة لله، ليس فقط في تألق المحبة في أعيننا، ولا فقط في الكلمات التي ننطق بها، ولكن أيضاً في كل حركة وفعل. ليكون زمن الإنسان يومَ ابن الإنسان، يوم الرب. آمين.

المسيح قام، حقاً قام.